التغيرات التاريخية والتركيبية للأصوات اللغوية

الدكتور رمضان عبد التواب

أصبح من المسلم به عند العلماء ، أن اللغة ليست من صنع فرد أو أفراد ، وإنما هي نتيجة حتمية للحياة في مجتمع ، يجد أفراده أنفسهم مضطرين إلى اتخاذ وسيلة معينة ، للتفاهم والتعبير عما يجول بالنفس ، وتبادل الأفكار . تلك الوسيلة هي اللغة .

ومن المسلم به كذلك عندهم أن هذه الوسيلة عرضة للتطور المطرد في مختلف عناصرها : أصواتها وصيغها ودلالاتها ونظام جملها ، شأنها في ذلك شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى .

ويهمنا في هذه المقالة تلك التغييرات التي تعتور أصوات اللغة . وتنقسم هذه التغييرات عموماً إلى قسمين كبيرين ، أولهما : التغييرات التاريخية ، والثاني : التغييرات التركيبية . ونعني بالتغييرات التاريخية تلك التغييرات التي تحدث من التحول في النظام الصوتي للغة ، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته ، صوتاً آخر . أما التغييرات التركيبية فهي التي تصيب الأصوات ، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة .

● ومن أمثلة التغييرات التاريخية في الأصوات : تطور الباء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم إلى « فاء » في اللغات السامية الجنوبية ، وهي العربية والحبشية ، وقد بقي الأصل كما هو في اللغات السامية الشمالية ، وهي العبرية والآرامية والأكادية ؛ مثال ذلك كلمة : pōl (פּוֹל)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

في العبرية[١]، التي صارت في العربية : « فول »، وفي الحبشية : (ፉል) fāl .

ومثال ذلك أيضاً: (פֶּה) pē في العبرية = (פֻּמָּא) pūmā في الآرامية = pū في الأكادية = « فو » في العربية [إلى جوار: فَمٌ، بالتمييم الذي نُسي أصله، فعدّ أصلاً من أصول الكلمة، وأضيف إليها التنوين الذي يقابل التمييم، وفتحت الفاء قياساً على بعض أسماء الأعضاء في الجسم ؛ مثل : يد، عين، رأس .. الخ] = (አፍ) af في الحبشية .

ومثال ذلك أيضاً : (פָּלַג) pālag في العبرية = (פְּלַג) plag في الآرامية بمعنى : « شق » فيهما = palgu في الأكادية بمعنى : « قناة » = Falag (ፈለገ) في الحبشية بمعنى : « جدول » = « فَلْجٌ » و « فَلَجَ » في العربية بمعنى : « شَقّ » .

وتطور هذه الباء (p) المهموسة في العبرية والآرامية إلى « فاء » مسألة خاصة بالسياق الصوتي فيها ؛ فإن هذا الصوت مع خمسة أخرى، يطلق عليها أصوات : (بجد كبت)، الأصل فيها أن تكون انفجارية، إلا إذا جاءت بعد حركة، فإنها في هذه الحالة تتحول إلى أصوات احتكاكية دون أن يتأثر المعنى بذلك ؛ فمثلاً : كلمة « فتح » في العربية، تقابل في العبرية : (פָּתַח) pātah كما تقابل في

(١) انظر: سفر صموئيل الثاني ١٧/٢٨ وسفر عزرا ٤/٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الآراميـة : ptaḥ (ܦܬܚ) ، غير أن المضارع من هذا الفعل في العبرية هو : yiftaḥ (יִפְתַּח) وفي الآرامية : neftaḥ (ܢܦܬܚ) ، فلم تنطق « البـاء » فيها : « فـاء » إلا لوقوعها هنا بعد حركة .

● ويعد صوت الجيم في العربية مثـالاً طيباً للتغييرات التاريخية في الأصوات ؛ فإن مقارنة اللغات السامية كلها ، تشير إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت ، كان بغير تعطيش ، كالجـــيم القاهرية تماماً ؛ فكلمة : « جمل » مثلا ، هي في العبرية : gāmāl (גָּמָל) وفي الآرامية : gamlā (ܓܡܠܐ) وفي الحبشية : Gamal (ገመል) . أمـــا العربيـة الفصحى فقد تحوّل فيها نطق هذا الصوت من الطبق إلى الغار ، أي من أقصى الحنك إلى أوسطه ، كما تحول من صوت بسيط إلى صوت مزدوج ، يبدأ بدال من الغار ، ثم ينتهي بشين مجهورة .

ومن التغييرات التـاريخية لهذا الصوت انحلاله إلى أحــد عنصريه المكوّنين له ، في اللهجات العربية الحديثة ؛ إذ ينطق كالدال في صعيد مصر ، فترى أهالي مدينة « جرجا » مثلا ، يسمون مدينتهم : « دِردا » ، كما يقولون : « دَمَل » و « داموسة » في : « جمل » و « جاموسة » وغير ذلك . والمكوّن الثاني للجيم ، وهو الشين المجهورة ، نسمعها جيداً في نطق الشاميين لهذا الصوت ، وهو مانسميه : « بالجيم الشامية » .

ويبـدو أن انحلال الجيم العربية الفصيحـة إلى العنصر الأول من عنصريها ، قد حدث منذ وقت مبكر في اللهجات العربية ؛ فقد ذكر

م (١٠)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن مكي الصقلي (المتوفَّى سنة ٥٠١ هـ) في كتابه : « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » أن الناس في عصره كانوا يقولون : « دشيش » في : « جشيش »[١] ، ومثل ذلك رواه أبو بكر الزبيدي (المتوفّى سنة ٣٧٩ هـ) عن عوام الأندلس في كتابه : « لحن العوام »[٢] ، كما ذكر ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) إلى جانب هذه الكلمة كذلك : « تدشّيت » في : « تجشّأت »[٣] .

وأقدم من هذا انحلالها إلى العنصر الثاني وهو الشين المجهورة ، وقد ضاع منها الجهر ، فصارت شيناً مهموسة ، كالشين الأصلية في العربية ؛ فقد روي عن قبيلة تميم أنهم كانوا يقولون في المثل : « شرٌّ ما أشاءك إلى مُخّة عرقوب » بدلاً من : « أجاءك » أي : « ألجأك »[٤] .

وقال زهير بن ذؤيب العدوي[٥] :

فيا لَ تميمٍ صابروا قد أُشئتمُ إليه وكونوا كالمُحَرِّبة البُسَّلِ

كما قال الراجز[٦] :

إذ ذاك إذ حبل الوصال مُدْمَشُ

أي : « قد أجئتم » بمعنى : « ألجئتم » و « مدمج » .

ويروي لنا أصحاب كتب لحن العامة بعض أمثلة هذه الظاهرة عبر

---

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦

(٢) لحن العوام للزبيدي ٢٠

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٤١

(٤) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/١٦٤ ، والصحاح (شيأ) ١/٥٩

(٥) الصحاح للجوهري (شيأ) ١/٥٩

(٦) سر صناعة الإعراب ١/٢١٥ وألف باء للبلوي ٢/٤٣٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عصور العربية ، وفي أصقاعها المختلفة ؛ فقد رووا لنا مثلاً : « اشترّت الدابة » في : « اجترّت » و « فلان مشتهد » في : « مجتهد » و « اشترأ على فلان » في : « اجترأ عليه » و « شخّ الصبي » في : « جخّ » و « فَشَر » في : « فَجَر » و « وِشّ »(١) في : « وجه » ، وغير ذلك .

وهناك تغيير تاريخي ثالث للجيم في اللهجات العربية ، وهو تحولها إلى « ياء » . وقد حدث في لهجة تميم كذلك ؛ فقد روي أن بني تميم يقولون في : « الصهريج » ، وفي جمعه : « الصهاريج » وهو الذي يجتمع فيه الماء : « الصهريّ والصهاريّ » ، كما روى أبو زيد أن بعض بني تميم قال : « شيرة » للشجرة . وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكنّ ظل ولاجنى فأبعدكنّ الله من شيرات

تريد : « شجرات » .

وهذه الظاهرة تشيع في عصرنا الحاضر ، في بعض قرى جنوبي العراق ، وبعض بلدان الخليج العربي ؛ إذ يقولون في « مسجد » مثلاً : « مسيد » ، وفي « دجاج » : « ديای » وغير ذلك(٢) .

● وصوت القاف كذلك من الأصوات التي عانت كثيراً من التغييرات التاريخية في العربية ؛ فإن مقارنة اللغات السامية تدل على أنه صوت شديد مهموس ، ينطق برفع مؤخرة اللسان والتصاقها باللهاة ، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق ، ثم يزول هذا السد فجأة ، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية ؛ ففي العبرية مثلاً :

Kōl (קוֹל) بمعنى: «صوت» وفي الآرامية: Kdām (קְדָם)

(١) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٣١٥ ، ٣٣٥

(٢) انظر في كل ذلك : فصول في فقه العربية ١١٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بمعنى : « قدّام » ، وفي الحبشية : Kōma (ቆመ) بمعنى : « قام » ، وفي الأكادية : pakad بمعنى : « بحث » . وهذا النطق المهموس هو الذي نسمعه الآن من أفواه مجيدي القراءات القرآنية في مصر .

وقد عدّ قدماء اللغويين العرب « القاف » من الأصوات المجهورة ، فإن صدق وصفهم هذا ، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة ، وقد بقي هذا النطق المجهور في أغلب البوادي العربية في الوقت الحاضر .

غير أن هناك تغييرات تاريخية أخرى كثيرة ، طرأت على هذا الصوت في البلاد العربية ، فهو في كلام كثير من أهل مصر والشام : « همزة » ، وقد روي لنا في القديم مثل هذا النطق في كلمة : « القفز » و « الأفز » (١) ، كما ينطق في السودان وجنوبي العراق « غيناً » ، فنسمعهم يتحدثون عن « الاستغلال » وهم يقصدون بذلك : « الاستقلال » . وفي لهجة مصر كلمتان من هذه الظاهرة ، هما : « يغدر » ومشتقاتها بدلاً من : « يقدر » ، وكلمة : « زغزغ » بمعنى حرك يده في خاصرة الصبي ليضحكه ، ولها صلة « بالزقزقة » المروية لنا عن العرب ، بمعنى ترقيص الطفل (٢) . كما ينطق صوت القاف صوتاً مزدوجاً ، كالجيم الفصيحة ، في بعض بلدان الخليج كالبحرين ؛ إذ يقولون مثلاً : « الجبْلة » ، بدلاً من : « القبلة » . كما نسمعها في مدينة « الرياض » وما حولها بالسعودية ، صوتاً مزدوجاً كذلك ، غير أنه مكوّن من دال وزاي

(١) انظر الإبدال لأبي الطيب ٢/٥٦٢

(٢) انظر اللهجة العامية المصرية في القرن الحادي عشر ١١٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(dz) في مثل : « زبلة » في : « قبلة » ، و « المزيبرة » في : « المقيبرة » وغير ذلك . وهناك أخيراً تطور للقاف لدى كثير من الفلسطينيين ، بنطقها كالكاف ، فهم يقولون مثلًا : « كال » في : « قال » و « كتله » في : « قتله » ، وغير ذلك .

* * *

هذه هي بعض أمثلة التغييرات التاريخية للأصوات في اللغات السامية ، والعربية ولهجاتها . أما التغييرات التركيبية فهي مشروطة بتجمع صوتي معين ، وليست عامة في الصوت في كل ظروفه وسياقاته اللفظية .

وأهم قوانين التغييرات التركيبية للأصوات قانونان هما : قانون المماثلة Assimilation وقانون المخالفة Dissimilation . أما الأول فيدعو صوتين مختلفين إلى التماثل أو التقارب ، في حين يدعو الثاني صوتين متماثلين إلى التخالف والتباعد . ونفصل فيما يلي القول في هذين القانونين :

١ – قانون المماثلة :

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل ، فتتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها ، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة ، مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام ، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ؛ ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها – كما نعرف – في المخارج ، والشدة والرخاوة ، والجهر والهمس ، والتفخيم والترقيق ، وما إلى ذلك ، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد ، أو من مخرجين متقاربين ، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلا ، حدث بينهما شدّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجذب ، كل واحد منها يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو في بعضها .

وهذا التوافق كما يحدث بين الأصوات الصامتة يحدث كذلك بين الحركات ، كما يحدث أيضاً بين الأصوات الصامتة والحركات .

وهناك اصطلاحات لعلماء الأصوات ، في أنواع التأثر الناتجة عن قانون المماثلة ، فإن أثّر الصوت الأول في الثاني فالتأثر (مقبل) ، وإن حدث العكس فالتأثر (مدبر) ، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثر (كلي) ، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثر (جزئي) . وفي كل حالة من هذه الحالات الأربع ، قد يكون الصوتان متصلين تماماً ، بحيث لايفصل بينهما فاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات ، وقد يكون الصوتان منفصلين بعضهما عن بعض ، بفاصل من الأصوات الصامتة أو الحركات .

ويمكن تلخيص بيان أشكال التأثر الصوتي ، على النحو المبين في الصفحة المقابلة .

وقبل أن نضرب الأمثلة المختلفة على ذلك ، نحب أن نشير هنا إلى أن الصوت لايمكن أن ينقلب إلى صوت آخر بعيد عنه في المخرج جداً ، فلاينقلب صوت من أصوات الشفة أو الأسنان مثلاً ، إلى صوت آخر من أصوات الحلق ، وكذلك العكس .

وقد فطن إلى هذه الحقيقة العلامة ابن جني فقال (١) : « فأما قول من قال في قول تأبط شراً :

كأنما حثحثوا حُصّاً قوادمُه أوأمَّ خِشْفٍ بذي شَثٍّ وطُبّاق

إنه أراد : حثّثوا ، فأبدل من الثاء الوسطى حاء ، فمردود عندنا

---

(١) سر صناعة الإعراب ١٩٧/١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

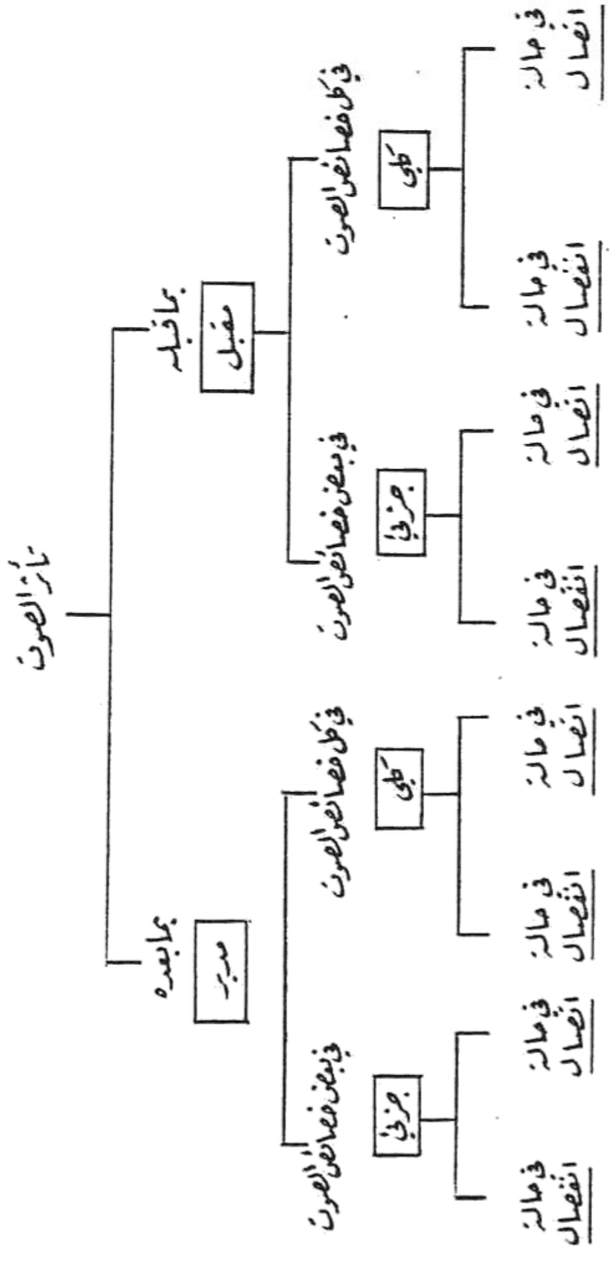

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإنما ذهب إليه البغداديون وأبو بكر [بن السراج] معهم ، وسألت أبا علي عن فساده ، فقال : العلة في فساده أن أصل القلب في الحروف ، إنما هو فيما تقارب منها ، وذلك : الدال والطاء والتاء ، والذال والظاء والثاء ، والهاء والهمزة ، والميم والنون ، وغير ذلك مما تدانت مخارجه . فأما الحاء فبعيدة عن الثاء ، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها . قال : وإنما (حثحث) أصل رباعي ، و (حثّث) أصل ثلاثي وليس واحد منهما من لفظ صاحبه ، إلا أن (حثحث) من مضاعف الأربعة ، و (حثّث) من مضاعف الثلاثة » .

كما يقول ابن سيدة : « ما لم يتقارب مخرجاه ألبتة ، فقيل على حرفين غير متقاربين ، فلا يسمى بدلاً ، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق (١) » .

وفيما يلي نضرب الأمثلة لكل نوع من أنواع التأثير السابقة :

(١) **التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال** : من أمثلته ما يلي :

ا ـ تتأثر تاء الافتعال دائماً بالدال أو بالطاء قبلها ، فتقلب دالاً أو طاء ؛ وذلك مثل :

ادترك 〉 ادّرك ؛ ادتهن 〉 ادّهن ؛ اطتلب 〉 اطّلب ؛ اطتلع 〉 اطّلع ؛ اطترد 〉 اطّرد .

ب ـ تتأثر تاء الافتعال غالباً بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها ، فتقلب ذالاً أو صاداً أو ضاداً ؛ مثل : اذتكر 〉 اذّكر ؛ اضتجع 〉 اضّجع ؛ اصتبر 〉 اصّبر .

جـ ـ تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل ، إذا كانت طاء ، فتقلب طاء في بعض

---

(١) المخصص ١٣/٢٧٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللهجات القديمة . وعلى هذه اللغة أنشد قول علقمة بن عبدة التميمي :

وفي كل حيٍّ قد خَبَطْتَ بنعمة فحُقَّ لشأس من نداك ذَنُوب

ويقول سيبويه : « وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبها طاء ؛ لأن هذه التاء علامة الإضمار ، وإنما تجيء لمعنى ، وليست تلزم هذه التاء الفعل ، ألا ترى أنك إذا أضمرت غائباً قلت : (فَعَلَ) فلم تكن فيه تاء » (١) .

(٢) **التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال** : من أمثلته ما يلي :

ا – تتأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر (ـهُ) والجمع المذكر (ـهُم) والجمع المؤنث (ـهُنّ) والمثنى (ـهُما) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة ، أو ياء ، فتقلب الضمة كسرة ؛ مثل : برجليهُ > برجلِيهِ ؛ فيهُ > فيهِ ؛ عليهُ > عليهِ ؛ ضربتِهُ > ضربتِهِ ؛ بصاحبِهُم > بصاحبِيهِم ؛ قاضيهُم > قاضيهِم ؛ بهُنّ > بهِنّ ؛ بِهُما > بِهِما ، وغير ذلك . وأصل حركة هذا الضمير موجود في القراءة القرآنية المروية عن حفص في قوله تعالى : « وما أنسانيهُ إلا الشيطان أن أذكره » وقوله تعالى : « ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله (٢) » ، وهذا الأصل هو لغة أهل الحجاز ، وقد روي عنهم أنهم كانوا يقرأون : « فخسفنا بهو وبدارهو الأرض » (٣) .

ب – روى أبو بكر الزبيدي أن عامة الأندلس في القرن الرابع الهجري كانت تقول : خَيْزَران وسَيْكَران ، وهو نبت تدوم خضرته في القيظ (٤) ، بدلاً من خَيْزُران وسَيْكُران .

(١) كتاب سيبويه ٢/٤٢٣
(٢) التيسير للداني ١٤٤
(٣) المقتضب للمبرد ١/٣٧
(٤) لحن العوام للزبيدي ٥٤ ، ١٢٤

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

(٣) **التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال** : من أمثلته مايلي :

ا – تتأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها ، فتقلب طاء في الحالتين الأوليين ، ودالاً في الحالة الثالثة ؛ مثل : اصتبغ 〉 اصطبغ ؛ اضتجع 〉 اضطجع ؛ ازتجر 〉 ازدجر .

ب – تتأثر تاء الافتعال بالجيم إذا كانت فاء للفعل ، فتقلب دالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : اجتمع 〉 اجدمع ؛ اجتزّ 〉 اجدزّ .

ويقول ابن جني (١) : « وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات ، قالوا : اجدمعوا في اجتمعوا ، واجدزّ في اجتزّ ، وأنشدوا :

فقلت لصاحبَيّ لا تحبساني بنزع أصوله واجدزَّ شيحا

ولايقاس ذلك إلا أن يسمع ، لاتقول في اجترأ : اجدرأ ، ولا في اجترح : اجدرح » !

ج – تتأثر الثاء بالأصوات المجهورة قبلها ، فتقلب ذالاً في بعض اللهجات القديمة ؛ مثل : يجثو 〉 يجذو ؛ تلعثم 〉 تلعذم .

وإن كان ابن جني ينكر أن يكون ذلك قلباً ويدعي أنها لغتان ؛ فيقول (٢) : « وأما قولهم : جذوت وجثوت ، إذا قمت على أطراف أصابعك . وقرأت على أبي علي :

إذا شئت غنتني دهاقين قرية وصنّاجة تجذو على كل منسِمِ

فليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه ، بل هما لغتان ، وكذلك قولهم أيضاً : قرأ فما تلعثم ، وما تلعذم » .

(١–٢) سر صناعة الإعراب ١/٢٠١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

د — تتأثر تاء الفاعل بلام الفعل إذا كانت صوتاً مفخماً ، فتقلب التاء طاء في بعض اللهجات القديمة ، وهي تلك التي يقول أصحابها : فَحَصْطُ برجلي ، بدلاً من : فحصت (١) .

هـ — روى أبو الطيب اللغوي (٢) أنه يقال في « نَشْز » : « نَشْس » ، كما يقال في « رجل جِبْس » للرجل الدنيء : « رجل جِبْز » ؛ ففي المثال الأول تأثرت الزاي المجهورة بالشين المهموسة قبلها ، فقلبت إلى نظيرها المهموس وهو السين ، وفي المثال الثاني تأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة قبلها فقلبت إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي .

(٤) **التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال** : من أمثلته مايلي :

أ — تتأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المجهور ، وهو الزاي في كلمة : مِهْراس ، التي صارت : مِهْراز في لهجة الأندلس العربية في القرن السادس الهجري ، كما روى لنا ذلك ابن هشام اللخمي (٣) .

ب — تتأثر الذال بالقاف قبلها ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم وهو الظاء ، في بعض اللهجات القديمة ؛ يقال للشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت : وقيذ ووقيظ . ويقول ابن جني (٤) : « يقال : تركته وقيذاً ووقيظاً . والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلاً من الذال ؛ لقوله عز اسمه : (والموقوذة) بالذال ، ولقولهم : وقذه يقذه ، ولم أسمع : وقظه ، ولا موقوظة ؛ فالذال أعم تصرفاً ، فلذلك قضينا بأنها الأصل » .

(١) انظر كتاب سيبويه ٢/٤٢٣ ، وسر صناعة الإعراب ٢/٢٢٥
(٢) الإبدال لأبي الطيب ٢/١١٨ (٣) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٤
(٤) سر صناعة الإعراب ١/٢٣٣

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

جـ ـ تتأثر الدال بالراء قبلها في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري ، فتنقلب إلى نظيرها المفخم ، وهو الضـــاد ؛ لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية ؛ مثل : معربد ﴿ معربض[١] .

(٥) **التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال** ؛ من أمثلته ما يلي :

ا ـ في مضارع صيغتي : تفعّل وتفاعل ، تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتاً من أصوات الصفير أو الأسنان ، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي ؛ مثل :

يَتَذَكَّر ﴿ يَتْذَكَّر ﴿ يَذَّكَّر ← اذَّكَّر (في الماضي)

يَتَطَهَّر ﴿ يَتْطَهَّر ﴿ يَطَّهَّر ← اطَّهَّر (في الماضي)

يَتَدارأ ﴿ يَتْدارأ ﴿ يَدَّارأ ← ادَّارأ (في الماضي)

يَتَثَاقل ﴿ يَتْثَاقل ﴿ يَثَّاقل ← اثَّاقل (في الماضي)

وقد حدث ذلك في اللغة العربية القديمة ، وجاء ذلك في القرآن الكريم ، جنباً إلى جنب مع الصيغة الأخرى ، التي لم يحدث فيها تطور ؛ كقوله تعالى : « اثَّاقلتم إلى الأرض » (التوبة ٩/٣٨) « وإذ قتلتم نفساً فادَّارأتم فيها » (البقرة ٢/٧٢) « بل ادَّارك علمهم في الآخرة » (النمل ٢٧/٦٦) « وما يذَّكَّر إلا أولو الألباب » (البقرة ٢/٢٦٩) « وما يدريك لعله يزَّكَّى أو يذَّكَّر فتنفعه الذكرى » (عبس ٨٠/٣-٤) « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيَّنَت » (يونس ١٠/٢٤) .

ولعل هذه الظاهرة كانت في سبيل التطور في العربية الفصحى ، عندما جاء الإسلام ؛ ولذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم ـ كما قلنا ـ جنباً إلى جنب مع الصيغ القديمة ، التي لم يحدث فيها تغير للأصوات ،

(١) لحن العوام للزبيدي ٢٩٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كقوله تعالى : « لولا أن تداركه نعمة من ربك » (القلم ٦٨/٤٩) « وما يتذكر إلا من ينيب » (غافر ٤٠/١٣) « قالوا إنا تطيرنا بكم » (يس ٣٦/١٨) ، وهو يقول في آية أخرى : « قالوا اطيرنا بك وبمن معك » (النمل ٢٧/٤٧) . بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين معاً ، كقوله تعالى : « ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولو الألباب » (ص ٣٨/٢٩) .

وقد ظل هذا التطور سائراً في طريقه في لهجات الخطاب ، حتى ساد وحده ، وقضى على الظاهرة القديمة ؛ ففي اللهجة العامية المصرية نقول مثلاً : فلان اصّدّعت دماغه ، واسّرّع في كلامه ، واشّهّى الأكل ، واصّوّر ، واطّوّع في الجيش . ولا أثر للصيغة القديمة في لهجات الخطاب ؛ إذ لا يقال فيها مثلاً : فلان تصدّعت دماغه ، وتسرّع في كلامه ، وتشهى الأكل ، وتصوّر ، وتطوّع في الجيش .

وكذلك الحال في صيغة (تفاعل) ؛ إذ ماتت هي الأخرى ، وحلت محلها صيغة : (اتفاعل) التي شاهدنا مولدها في عصر نزول القرآن الكريم ؛ إذ نقول الآن في لهجات الخطاب : فلان اطّاول على فلان ، واشّاتم هو وهو ، واسّاهل معاه ، واصّالحوا سوا ؛ بدلاً من : تطاول عليه ، وتشاتم ، وتساهل ، وتصالح .

بل لقد سادت صيغتا (اتفعّل واتفاعل) في اللهجة العامية المصرية ، حتى ولو لم يكن في الأصل صوت من أصوات الصفير أو الأصوات الأسنانية ، كقولنا مثلاً : « اتفرّج » و « اتبهدل » و « اترازل عليه » ، وغير ذلك .

ب — تتأثر النون في : إنْ وأنْ ومِنْ وعَنْ ، بالميم واللام التي تليها ،

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فتقلب ميماً أو لاماً ؛ مثل : إمّا وأمّا وإلا وألا وممّا وعمّا ، وما إلى ذلك .

جـ — في العربية القديمة ، تتأثر لام التعريف بما بعدها ، من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة (الراء واللام والنون) ، وهي ماتسمى عند اللغويين العرب بالحروف الشمسية ، فتدغم فيها . وقد جمعها بعض الشعراء في أوائل كلمات البيت التالي :

طب ثم صل رحماً تفز ضف ذا نعم   دع سوء ظن زر شريفاً للكرم

د — روى لنا اللغويون في « وَتِد » : « وَدّ » ، وقالوا : « الأصل : وَتِد ، وهي اللغة الحجازية الجيدة ، ولكنّ بني تميم يسكنون التاء ويدغمونها في الدال »[1] .

هـ — تتأثر اللام في كلمة : (بل) بالراء في أول الكلمة التي تأتي بعدها ؛ فتقلب راء ؛ كقول الشاعر :

عافت الماء في الشتاء فقلنا   بل رديه تصادفيه سخينا

فإنها تنطق : « بردّيه » . وكان ذلك هو السبب الذي أوقع قطرباً النحوي المشهور في الخطأ ، حين زعم أن « بردّ » من كلمات الأضداد ، تأتي بمعنى : برُد وسخُن ، اعتماداً على هذا البيت ، ولم يدر أن الراء منقلبة عن اللام في « بل » . وقد عابه بذلك أبو الطيب اللغوي ، في كتابه الأضداد (٨٦/١) . ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم » (المطفّفين ٨٣/ ١٤) . وهذا هو السر في أن بعض القراء يسكت بعد اللام سكتة لطيفة ، حتى يوجد فاصلاً بين اللام والراء بعدها ، فلا تتأثر بها .

(١) الجمل للزجاجي ٢٨٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

و – تتأثر الراء في بعض قراءات القرآن باللام بعدهـا ، في مثل قوله تعالى : « يغفر لـكم » فتقلب لاماً ، وإن كان ابن جني ينكر ذلك ويقول : « واعلم أن الراء لما فيها من التكرير ، لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف ؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير . فأما قراءة أبي عمرو : « يغفر لكم » بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا ، وغير معروف عند أصحابنا ، إنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس » (١) .

ز – أورد سيبويه شواهد على تأثر لام (بل) بالشين والثاء والتاء بعدها ؛ مثل قول طريف العنبري :

تقول إذا استهلكتُ مالاً بلذّة فكيهةُ هَشَّيءٍ بكفّيْك لائقُ

يريد : هل شيء ... وقرأ أبو عمرو : « هَثُّوِّب الكفارُ » ، يريد : « هل ثُوِّب الكفار ... » وقد قرىء : « بتُّؤثرون الحياة الدنيا » ، يريد : « بل تؤثرون » . وقال مزاحم العقيلي :

فدع ذا ولكن هتَّعينُ متيَّماً على ضوء برق آخر الليل ناصبُ

يريد : هل تعين » (٢) .

(٦) **التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ من أمثلته ما يلي :**

ا – كلمة : (እምዘ) ʾemza في الحبشية تقابل كلمة : « مُنذُ » العربية ، وهي في الحبشية مركبة من : (እም) ʾem بمعنى « مِنْ » و (H)za بمعنى اسم الموصول (ذو) الطائية . وهذا كله يدل على أن أصل (مُنذُ) العربية : (مِنْ + ذو) ،

(١) سر صناعة الإعراب ٢٠٦/١

(٢) انظر : كتاب سيبويه ٤١٧/٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقلبت كسرة الميم ضمة تأثراً بضمة الذال بعدها . وقد بقي هذا الأصل عند بني سليم ، فقد حكي عنهم أنهم يقولون : « مِنْذُ » بكسر الميم (١) . ويخطىء السيوطي حين يرى أن الذال في ‹مُنْذُ› « ضمت إتباعاً لحركة الميم ، ولم يعتدّ بالنون حاجزاً »(٢) .

ب - تطورت كسرة الميم إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة : مِفْعَل ومِفْعَلة ، وذلك مطرد تمام الاطراد في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري (٣)؛ إذ تتأثر حركة الميم بحركة العين ، وذلك من نوع التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال ؛ مثل : مَقْود ، ومَسَنّ ، ومَقْنَع للثوب الذي يغطى به الرأس ، ومَطْرد الرمح الصغير ، ومَخَدّة ، ومَزْدَعة للوسادة . وقد استمر ذلك في لهجة الأندلس في القرون التالية ، فقد روى لنا ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون : مَصيدة ، ومَطرقة ، ومَغرفة ، ومَرود ، ومَشرط ، ومَنجل ، ومَنبر ، ومَكنسة ، ومَروحة ، ومَلعقة (٤) .

وهذا هو الاتجاه العام في تطور هاتين الصيغتين في اللهجات العربية الحديثة ؛ ففيها يسود التأثر المُدْبِر ، كما في الأمثلة السابقة . أما التأثر المُقْبِل فيهما ، فلم أعثر له على مثال إلا فيما رواه ابن الجوزي (المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ) من قول العامة في عصره : (مِكِنْسة) بدلاً من « مِكْنَسة »(٥) .

---

(١) انظر : لسان العرب (منذ) ٥/٤٧

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/٧

(٣) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي ١٩٠ - ١٩١

(٤) المصدر نفسه ٢٣٧ - ٢٣٨

(٥) تقويم اللسان لابن الجوزي ٤٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٧) **التأثر المدبر الجزئي في حالة الاتصال**، من أمثلته ما يلي:

ا — في العربية القديمة تتحول الصاد قبل الدال إلى زاي؛ مثل: «يَزْدُق» في «يَصْدُق»، واتصال الصاد بالدال هنا شرط لتحقق التأثر السابق؛ قال ابن السكيت: «والعرب تقول: أَزْدُق بمعنى: أَصْدُق، ولا يقولون: زَدَق»[1]. ولم يعين اللغويون القبيلة التي ينتمي إليها هذا الإبدال، وأغلب الظن أن الزاي هنا كانت مفخمة، غير أنهم كتبوها بالزاي المرققة، لعدم وجود رمز للزاي المفخمة في الكتابة العربية. وقد روي لنا هذا الإبدال كذلك في المثل العربي: «لم يُحرم من فُزْدَ له»[2].

وقد زعم أبو الطيب اللغوي أن طيئاً تقلب كل صاد ساكنة زاياً، ولم يقيدها بوقوعها قبل الدال، فقال: «ويقال: هي المِزدغة والمِصدغة، للمِخدّة. وطيىء تقلب كل صاد ساكنة زاياً. قال الأصمعي: كان حاتم الطائي أسيراً في عنزه، فجاءته النساء بناقة ومِفْصَد، وقلن له: افصد هذه الناقة، فأخذ المفصد فلَتَم في سَبَلتها، أي نحرها، وقال: هكذا فزدي أَنَه، أي فصدي أنا ثم قال:

لا أفصد الناقة من أنفها   لكنني أوجرُها العاليه

وقد قرىء: حتى يَصْدُر الرِّعاء ويَزْدُر الرعاء. ويقال: هو كثير القزدلك والقصدلك»[3].

(١) انظر: القلب والإبدال لابن السكيت ٤٥

(٢) انظر: لحن العوام للزبيدي ١٩٤

(٣) الإبدال لأبي الطيب ٢/١٢٦ - ١٢٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكل هذه الأمثلة وقعت فيها الصاد قبل الدال مباشرة ، وهي السبب في هذه المماثلة ، فلا يقال - كما في هذا النص - : « وطيء تقلب كلّ صاد ساكنة زاياً » ، بل تزاد عبارة : « قبل دال » ولعلها ساقطة من أصل الكتاب .

ب - تتأثر النون الساكنة بالباء التالية لها ، فتقلب إلى صوت من مخرج الباء ، وهو صوت الميم ؛ إذ هو شفوي كالباء ، وهذا هو ما سماه علماء القراءات العرب بالإقلاب في مثل قوله تعالى : « من بعد ما جاءهم » ، وقوله تعالى : « عليم بذات الصدور » ، وقوله : « إذ انبعث أشقاها » . ومثل ذلك قول عامة الناس اليوم : « مَمْبَر » في مِنْبَر إلى جانب التأثر المدبر الكلي في حركة الميم ، كما سبق أن عرفنا .

جـ - تقول العامة في عصرنا الحاضر : « يِسْحَف » بدلاً من « يَزْحف » (١)؛ فقد تأثرت الزاي في هذا المثال ، وهي صوت مجهور ، بالحاء التالية لها وهي صوت مهموس ، فقلبت الزاي إلى نظيرها المهموس وهو السين .

(٨) التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال ؛ من أمثلته ما يلي :

ا - الصاد قبل الراء تقلب زاياً في بعض قراءات القرآن الكريم ؛ مثل : « زراط » في : « صراط » أو لعلها كانت تنطق مثل الظاء العامية ؛ إذ يقول صاحب « مقدمتان في علوم القرآن » (١٤٧) : « غير أن الذي يُشمّ بالصاد زاياً يحافظ على بقاء الإطباق في الصاد » . وهذا ما سبق أن ذكرناه من ترجيح أن تكون الزاي مفخمة في مثل هذه الكلمات .

---

(١) انظر : تذكرة الكاتب لأسعد داغر ٨٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ب – روى ابن هشام اللخمي أن النـاس كانوا في الأندلس والمغرب في القرن السادس الهجري يقولون في : « سرداب » : « زِرْداب »(١).

جـ – الناس في مصر وبعض البلاد العربية ، يطلقون على : « السعتر » « زعتر » (٢) .

د – بنو أسد يقولون في « الدّفتر » : « تِفتر »(٣) .

هـ – تميل الراء إلى تفخيم الأصوات المجاورة لها ، ومن هـذا الأثر قولنا في مصر : « طُور » في : « تُور » المنقلبة عن « ثَور » ، كما نطلق كلمة : « الضرب » على « الدرب » بمعنى الطريق المسدود .

و – السين قبل الطاء تقلب صاداً في بعض قراءات القرآن ؛ فقـد روي « عن ورش عن نافـع : أم هم المصيطرون ، و : فلست عليهم بمصيطر ، بإخلاص الصاد . وروى محمد بن الجهم عن الفراء قال : الكتاب وخط المصحف بالصاد في : مصيطر ، والمصيطرون ، والقراءة بالسين » (٤) .

٢ – **قانون المخالفة :**

هناك قانون صوتي آخر ، يسير في عكس اتجـاه قانون المماثلة ، وهو ما يعرف عند علماء الأصوات باسم : « قانون المخالفة » ؛ فقد عرفنا أن قانون المماثلة ، يحاول التقريب بين أصوات بينها بعضُ المخالفات . أما قانون المخالفة ، فإنه يعمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات ،

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٤٣
(٢) انظر : تهذيب الألفاظ العامية للشيخ الدسوقي ٦٦
(٣) انظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي ١/١٠٩
(٤) انظر : مقدمتان في علوم القرآن ١٤٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيغير أحدهما إلى صوت آخر يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم : Liquida وهي : اللام والميم والنون والراء .

ويقول فندريس : « ينحصر التخالف ، وهو المسلك المضاد للتشابه ، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة ، وكان من حقها أن تعمل مرتين ؛ فمن الكلمة اللاتينية : Arborem (أرْبُورِم) بمعنى : شجرة ، نشأت الكلمتان : الأسبانية Arbol (أربُل) والبروفنسية Albre (ألْبْر) ، فالذي حدث في كلتا الحالتين ، مع اختلاف الترتيب ، هو أن المتكلم اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات ، التي يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلاً من أن يقوم بحركتين ، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج اللام المائعة »(١) .

ومثال المخالفة بين السامية الأم والعربية : كلمة « شمس » ، فهي في السامية الأولى : « شمش » كما في الأكادية والعبرية والآرامية . والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم ، قلبت في العربية « سيناً » ، وهذا من التغييرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل ، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية : « سمس » ، غير أن المخالفة بين السينين ، أدت إلى قلب الأولى شيناً .

وكذلك كلمتا : « سنبلة » و « قنفذ » حدثتا بطريق المخالفة بين الصوتين من كلمتين كانت الباء فيهما مشددة ؛ « فسنبلة يوافقها في العبرية : šibbōlet (שִׁבֹּלֶת) وقنفذ يوافقه في العبرية : Kippōd (קִפּוֹד)(٢) » .

(١) اللغة لفندريس ٩٤

(٢) دروس في علم أصوات العربية لكانتينو ٤٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومثـــال ذلك في العربية : « قيراط » و « دينار » بدلاً من : « قِرّاط » و « دِنّار » بدليل الجمع : « قراريط » و « دنانير » . و « أملل » و « أملى » ، وفي القرآن الكريم : « وليملل الذي عليه الحق » (البقرة ٢/ ٢٨٢) .

وكان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في : « إجّاص » للكمثرى : « إنجاص » ، وفي : « أترجّ » : « أترنج » ، وفي : « إجّانة » : « إنجانة » ؛ فقد ذكر الكسائي (المتوفى سنة ١٨٩ هـ) أن الناس كانوا في عصره يزيدون النون في هذه الكلمات فقال : « ويقال : أترجّ وإجّانة وإجاص . هذه الأحرف بإسقاط النون »[(١)] .

كما كان أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري يقولون : « كرناسة » في : « كراسة » كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة : « عدنبس » بدلاً من الكلمة القديمة : « عدبّس » ، وكان يقولون : « تقعور » بدلاً من الفعل : « تقعّر »[(٢)] .

كما روى أبو منصور الجواليقي (المتوفّى سنة ٥٣٩ هـ) عن عامة عصره أنهم كانوا يقولون : « مِنْطَر » في : « ممطر » ، كما كانوا يقولون : « خَرْمَش » في : « خَمَّش »[(٣)] .

والكلمة الأخيرة يستعملها العامة اليوم مع القلب المكاني ، فيقولون : « خرشم » ومثل ذلك في كلامهم لفظة : « لخبط » التي حدث فيها قلب مكاني من : « خلبط » التي نتجت بطريق المخالفة الصوتية من الفعل القديم : « خلّط » .

---

(١) انظر : ما تلحن فيه العوام للكسائي ٣٥ ، وانظر كذلك : إصلاح المنطق ١٧٦

(٢) انظر : لحن العوام للزبيدي ٣٥ ؛ ٦١ ، ١٦١ ؛ ٢٦٤

(٣) انظر : تكملة ما تلحن فيه العامة للجواليقي ١٣٤ ؛ ١٣٩

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كما تقول العامة في عصرنا الحاضر : « قرنبيط » في : « قنّبيط » و « مهردم » في : « مهدّم » [١] و « فرتك » في « فركّ » و « ضرفة الباب » بدلاً من : « دفّة » ، وقد فخمت الدال بتأثير الراء ، كما سبق أن ذكرنا ذلك ، كما يقولون : « كعبل » بدلاً من « كبّل » [٢] . ويقولون كذلك : « سنكر الباب » بدلاً من « سكّر » المستعارة من الآرامية : (ܣܟܪ) [٣].

وقد حكى ابن هشام اللخمي (المتوفّى سنة ٥٧٧ ﻫ) بعض الأمثلة التي يمكن أن تفسَّر بقانون المخالفة ، عن طريق إبدال أحد المتماثلين حرف مدّ ؛ مثل : « عايرت الموازين » في : « عيّرت » و « عوش الطائر » في : « عشّ » و « مصافُهم » في : « مصفّهم » و « ضارة المرأة » في « ضرّة » و « موخ » في : « مخّ » [٤] . ومثل ذلك ما حكاه ابن السكيت عن العرب أنهم يقولون : « الذمّ » و « الذّام » للعيب [٥] .

ولعلنا ، بقانون المخالفة ، نستطيع أن نفسر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي : « زُحلُوفة » و « زُحلُوقة » في قول الأصمعي : « الزحاليف والزحاليق : آثار تزلّج الصبيان من فوق طين أو رمل أو صفاً ، فأهل العالية يقولون : زحلوفة وزحاليف ، وبنو تميم ومن يليهم من هوازن يقولون : زحلوقة وزحاليق » [٦] ، فالظاهر أن الكلمة الأولى : «زحلوفة» مأخوذة من الفعل : « زحلف » الناتج بطريق المخالفة الصوتية من « زحّف » كما أن الكلمة الثانية : « زحلوقة » مأخوذة من الفعل : « زحلق » الناتج بطريق

---

(١) انظر : أصول الكلمات العامية لحسن توفيق العدل ٣٩
(٢) انظر : المحكم في أصول الكلمات العامية ، للدكتور أحمد عيسى ٨٣ ؛ ١٨٨
(٣) انظر : فصول في فقه العربية ٢٩٠
(٤) انظر : المدخل إلى تقويم اللسان ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣
(٥) القلب والإبدال لابن السكيت ٢٦
(٦) الإبدال لأبي الطيب ٢/٣٣٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المخالفة الصوتية كذلك من الفعل : « زلّق » ، فانظر إلى اختلاف الأصول وتشابه الفروع الجديدة !

وليس من اللازم أن يكون الصوتان متجاورين ؛ فكلمة : « عنوان » تنطق في بعض اللهجات عندنا : « علوان » ، وكلمة : « لعل » فيها عشر لغات مشهورة(١) . ومن هذه اللغات : « لعنّ » ، وهي أثر من آثار قانون المخالفة .

وقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة ، وكانوا يعبرون عنها أحياناً « بكراهية التضعيف » أو « كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد » أو « اجتماع الأمثال مكروه » أو « استثقلوا اجتماع المثلين » وغير ذلك ؛ فقد عقد سيبويه لذلك باباً في كتابه بعنوان : « هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء ، لكراهية التضعيف ، وليس بمطرد »(٢) .

وقال أبو عكرمة الضبي : « أنشدني أبو العالية لبعض بني أسد :

إذا برِحَت فنقعٌ مستكفٌّ وإن تُقْني فسِلْتَغْدٌ عَذُومُ

تقني : صارت في قنان من الأرض ، وهي إكام ذات حجارة ، الواحد قُنّة . وكان الأصل : تُقْنِن ، فأبدل النون الأخيرة ياء ، كراهةً لاجتماع حرفين من جنس واحد ، كما قالوا : تظنّيت ، والأصل : تظننت ، وكقول العجاج :

تقضّيَ البازي إذا البازي كسر

أراد : تقضض . ولهذا أمثال كثيرة »(٣) .

ومن قواعد الصرفيين في العربية ، أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت

---

(١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٧١/١

(٢) كتاب سيبويه ٤٠١/٢ .

(٣) الأمثال لأبي عكرمة ٨٤ - ٨٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

قبل واو متحركة مطلقاً ، أو ساكنة متأصلة الواوية ، نحو : « أواصل » و « أواق » ؛ فإن الأصل فيها : « وواصل » ، وكذلك : « وواق »؛ لأنها جمعان لكلمتي : « واصلة » و « واقية » ؛ ففاء كل منها واو . ويجري مثل ذلك في أنثى : « الأول » وجمعها ؛ فإن الأصل فيهما أن يكونا : « وُولى » و « وُوَل » ، ولكنهما في العربية : « أُولى » و « أُوَل » ، وليس ذلك كلّه إلا أثراً من آثار قانون المخالفة .

والسبب في المخالفة من الناحية الصوتية ، هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة ؛ ولتيسير هذا المجهود العضلي ، يقلب أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً ، كاللام والميم والنون .

ويرى « برجشتراسر » أن العلة في التخالف « نفسية محضة ، نظيره الخطأ في النطق ، فإنا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق ، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه ، وأكثر ما يكون هـــذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض ؛ لأن النفس يوجد فيها – قبل النطق بكلمة – تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها ، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه ، بعـــد حصوله بمدة قصيرة ، ومن هنا ينشأ الخطأ إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتتابع فيها حروف متشابهة » (١) ، وذلك مثل الكافات في عبـارة : « كريم الكركشندي دبح كبش ، وعمل على كرش الكبش كشك ، يا ما أحلى كشك كرش كبش كريم الكركشندي »!

ومن المخالفة الصوتية المؤثرة في العربية كذلك : المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين ، إذا كانت الأولى منها طويلة ؛ إذ تتحول الثانية منها في

(١) التطور النحوي ٢١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الحالة إلى كسرة ، فالأصل في نون المثنى هو الفتح ، غير أنها كسرت تبعاً لهذا القانون ؛ بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر، وبدليل بعض الأمثلة التي بقيت على الأصل القديم ، وهي ما نسميه نحن « بالركام اللغوي » ؛ مثل : « شتانَ » في مثل قولهم : « شتان أخوك وأبوك » أي هما متفرقان ؛ فهو تثنية شتّ ، والشتّ : المتفرّق (١) .

ومن لم يقنعه هذا المثال ، فلينظر في نون التوكيد المشدّدة ، وهي مفتوحة – كما نعرف – في : « يضربَنَّ » و « تضربَنَّ » وما إلى ذلك ، غير أنها مكسورة في مثل : « يضربانِّ » بسبب المخالفة المذكورة .

وهذه النون التي تسمّى بنون الرفع في الأفعال الخمسة ، هي مفتوحة في : يفعلونَ وتفعلونَ وتفعلينَ ، ولكنها مكسورة في : يفعلانِ وتفعلانِ ، بسبب هذا القانون نفسه .

بل إن نصب جمع المؤنث بالكسرة ليُفَسَّر كذلك بهذا القانون ، أي أن الأصل هو نصب هذا الجمع بالفتحة ، بدليل ما رواه الكوفيون عن العرب من قولهم : سمعت لغاتَهم ، وقول الرياشي : سمعت بعض العرب يقول : أخذت إراتَهم (٢) ، غير أن أثر هذا القانون ، هو الذي أدّى إلى تخالف الفتحة إلى كسرة ، فيما نعتقد .

وليست المخالفة هي الطريق الوحيد في اللغات ، للفرار من ثقل اجتماع الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في الكلمة ؛ فقد تنشىء اللغة فاصلاً بين الصوتين ، يخفف من ثقل اجتماعهما ، كما هو الحال في توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ؛ إذ تزيد اللغة العربية فيه ألف مدٍ بين نون

(١) لسان العرب (شتت) ٢/٣٥٥ .

(٢) منهج السالك لأبي حيان ص ١١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

النسوة ونون التوكيد ، وهذه الألف يسميها الصرفيون « بالألف الفارقة »[١].

ويقول فندريس : « هناك مسلك ثالث ؛ وذلك بأن لا يتجه الصوتان المتماسان إلى التوافق بين عناصرهما بزيادة المشابهة التي بينهما ، تلك المشابهة التي تصل أحياناً إلى التماثل التام ، ولا أن يتحصن كل منهما ضد الآخر ، بوضع نوع من العازل ، يكون عقبة في سبيل التأثير المتبادل بينهما ، بل على العكس من ذلك بأن يستغلا ما بينهما من فروق فيعمقاها إلى حد ألا يبقى بينهما شيء مشترك ، ثم يزيلا كل نقطة للتشابه ، وتلك هي عملية المفارقة »[٢] .

ويقصد فندريس بالتوافق ما سبق أن سميناه : « المماثلة » ، كما يقصد بالمفارقة ما سميناه : « المخالفة » . أما « العازل » الذي يتحدث عنه فهو الذي سبق أن مثلنا له بالألف الفارقة في العربية . وقد مثل (فندريس) لهذه الاتجاهات التطورية الثلاثة ، بمعاملة بعض اللغات للمجموعتين الصوتيتين : Akta و Atna على النحو التالي :

توافق	↙ anna		توافق	↙ atta	
عازل	atna ← atena		عازل	akta ← aketa	
مفارقة	↖ atra		مفارقة	↖ achta	

وتميل العربية إلى التخلص من توالي الأمثال في أبنيتها ، عن طريق آخر ، إلى جانب طريق المخالفة الصوتية ، ووضع العازل بين الأصوات ، ذلك هو طريق الحذف . ومن أمثلة ذلك فيها : صيغ « تفعّل » و « تفاعل » و « تفعلل » مع تاء المضارعة ؛ مثل : « تتقدّم » و « تتقاتل »

(١) انظر في طرق التخلص من توالي الأمثال : الأشباه والنظائر للسيوطي ١٨/١

(٢) اللغة لفندريس ٩١

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية

و « تتبختر » ، فالكثير في العربية الاكتفاء بتاء واحدة . وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة لذلك ؛ ففيه مثلاً : « تذكّرون » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل : « تتذكّرون » ٣ مرات بلا حذف ، كما يقابلنا فيه مثلاً : « تكاد تميّز من الغيظ » بدلاً من : « تتميز » و « فأنت عنه تلهّى » بدلاً من : « تتلهّى » و « ناراً تلظّى » بدلاً من : « تتلظّى » وغير ذلك .

ومن أمثلة ذلك أيضاً : نون الأفعال الخمسة مع نون الوقاية ، قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب ، وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة ، قبل هاتين الحالتين ، كقول الأعشى :

أبالموت الذي لا بدّ أنّي ملاق لا أباك تخوّفيني (١)

أي « تخوفينني » . وكقول عمرو بن معديكرب :

تراه كالثغام يُعلّ مسكا يسوء الفاليات إذا فَلَيْني (٢)

أي « فلينني » . وكقول جميل :

أيا ريح الشمال أما تريني أهيم وأنني بادي النحول (٣)

أي « ترينني » .

وليست ضرورة الشعر هي المتسببة في هذا الحذف ، كما قد يُتَوَهَّم ، إذ ورد في النثر كذلك ؛ فقد ورد في سيرة ابن هشام : « ما الذي تهنئونا به » (٤) ، وفيها كذلك : « أفلا تعطوني » (٥) . وفي الأغاني

(١) أمالي ابن الشجري ٣٦٢/١ ، والكامل للمبرد ١٤٢/٢ ، والمنصف لابن جني ٣٣٧/٢ (٢) كتاب سيبويه ١٥٤/٢ والمنصف لابن جني ٣٣٧/٢
(٣) الأغاني ١٠٩/٨ (٤) سيرة ابن هشام ٤٥٨ (٥) المصدر نفسه ٥١

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

للإصفهاني : « فأخبراه أنها لا يعرفاني »[١] . وفي عيون الأخبار لابن قتيبة: « لِمَ تزعجوني من جواركم »[٢] . وفي تفسير الطبري : « كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وَسْقاً ، ونقتل منهم ولا يقتلونا »[٣] .

ومن أمثلة الحذف لكراهة توالي الأمثال كذلك : إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكأنَّ ، مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب . والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلاً : « إني » ١٢٤ مرة ، في مقابل : « إنني » ٦ مرات ، كما ورد فيه : « وإنّا » ٣٣ مرة ، في مقابل : « وإننا » مرة واحدة ،وغير ذلك.

ولعل المسؤول عن منع كلمة : « أشياء » من الصرف ، وقوعها في القرآن الكريم ، في سياق تتوالى فيه الأمثال لو صرفت ، في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » (سورة المائدة ٥ / ١٠١) ؛ إذ لو صرفت لقيل : « عن أشياءٍ إنْ » ولا يخفى ما فيه من تكرار المقطع : (إن) .

وليست العربية بدعاً في سلوك طريق الحذف ، للتخلص من توالي الأمثال ؛ ففي الآرامية مثلاً : (ܐܪܝܐ) بمعنى « ليث » أصلها الاشتقاقي ʾaryāyā . وفي الألمانية مثلاً كلمة der Beamte بمعنى : « الموظف » ، هذه الكلمة أصلها الاشتقاقي : Der Beamtete وغير ذلك من الكلمات[٤].

القاهرة رمضان عبد التواب

(١) الأغاني ٥/١٢٦ (٢) عيون الأخبار ١/٢٩٣ (٣) تفسير الطبري ٨/٥١٠

(٤) انظر في تفصيل ذلك : مقالتنا « كراهة توالي الأمثال » مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨/١٩٦٩ م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net
الجمهورية العربية السورية مجمع اللغة العربية